المَبَاحِثْ الحَديثيَّة
في تفسير ابن باديس

أ. نور الدين تومي
جامعة الوادي

ملَخَّص

كان قُطْرُنا وبَلَدُنا الجزائر ولا زال موطنا يَخْرُج منه علماء أفذاذ، أَنَاروا دُروبَ الحياة، وذلَّلُوا طُرقَ النَّجاة، بيَّنوا الأحكام، وعلَّموا النَّاس الحلال والحرامَ، منطلقين في ذلك من كتاب ربِّهم وسنَّة نبيهم، وكان من أولئك الإمام العلاَّمة عبد الحميد بن باديس.

وهذا البحث يجلِّي جانبا من جوانب القوَّة العلميَّة عند هذا الإمام، ويتمثَّل هذا الحانب في تلك المِلَكَة وذلك الفهم الثَّاقب لمسائل الحديث، والاهتمام الشَّديد بالصنَّاعة الحديثيَّة وبروايات الحديث في تفسيره، فقد أبدى إمامُنا قوةً في هذه النَّاحية تدلُّ على تمكُّنِه من هذا العلم، وهذا البحثُ يُظْهِر هذه القوة من خلال مباحثه الثَّلاثة.

Abstract

Our country Algeria was coming out of it a nonesuch's scientists, they flared walks of life, elucidated the provisions and learned people Halal and Haram, departing from the Book of their God and the Sunnah of their prophet, it was from those the Imam Abdelhamid Ben Badis, And this research shows an aspect of the scientific strength at Imam Abdelhamid Ben Badis,This aspect is represented in those acquired and the thorough understanding of the issues of HADITH and strong interest in the science of hadith and the versions of hadith in his Tafsir, so our imam Have expressed strength in this area indicate his able in this science, this research shows this strength during its three subjects.

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

يُعتبر الإمام العلاَّمة عبد الحميد بن باديس –باعث النَّهضة الجزائرية الحديثة– من الأعلام الأفذاذ الذين رزقهم الله Y علما واسعا، وفهمًا ثاقبًا، فاقَ بهما أقرانَه، وشَهِد له بذلك إخوانُه؛ وكان اهتمامه بالعلم والحرص الشَّديد على نشره ما يفوق التصوُّر، ومن قرأ ترجمته ونظر فيها بِتَمعُّنٍ يرى كيف كان يحرص على نشر العلم حتىَّ في الأسواق والسَّاحات العامرة، والبيوت وغيرها، أمَّا في المساجد فهذا الجامع الأخضر بقسنطينة المحروسة، وتلاميذه الأحياء منهم شاهدين على ذلك [1]؛ فقد ختم فيه تفسير القرآن، وكذا شرح الموطأ في خمس وعشرين سنة، ناهيك عن دروس العقيدة، والفقه، وعلوم العربية، وغيرها.

وكان –رحمه الله– ذا اهتمام بالغ بالقرآن الكريم و السنَّة النَّبوية؛ فكان يأمر بالرجوع إليهما في كل أمور الدُّنيا و الدِّين، ويرى أنَّه لا صلاح ولا فلاح للأمَّة أفرادا وجماعات إلا بالرجوع إليهما، والنَّهل منهما، وتحكيمهما، والتَّحاكم إليهما، وهذا ما تستشفُّه عند قراءتك في مجالس التَّذكير.

لقد رُزِق إمامُنا –رحمه الله– فهمًا عجيبًا للقرآن، وفتح الله Y عليه في ذلك شيئا جليلا، حتى عُدَّ من الأفذاذ الأفراد، وممَّن انتهت إليه الإمامة في التَّفسير في هذا العصر.

يقول عنه صاحب دربِهِ وأخوه الشّيخ البشير الإبراهيمي بعد كلام طويل عن المفسِّرين ومناهجهم: "...، فانتهت إمامة التَّفسير بعده[2] في العالم الإسلامي كلَّه إلى أخينا وصديقنا ومنشىء النَّهضة الإصلاحيَّة العلميَّة بالجزائر، بل بالشَّمال الإفريقي عبد الحميد بن باديس.

كان للأخ الصَّديق عبد الحميد بن باديس –رحمه الله– ذوقٌ خاصٌّ في فهم القرآن، كأنَّه حاسَّة زائدة خُصَّ بها؛ يرفده –بعد الذَّكاء المشرق، والقريحة الوقَّادة، والبصيرة النَّافذة– بيان ناصع، واطّلاع واسع، وذوق فسيح في العلوم النفسيَّة والكونيَّة، وباع مديد في علم

---

[1] – وقد حدَّثَني أحدُ تلاميذه _وهو الشيخ عمَّار مطاطلة حفظه الله_ بشيء عجيب في ذلك.

[2] – أيّ بعد الشيخ محمَّد رشيد رضا؛ والشيخ الإبراهيمي تكلَّم عن مناهج المفسرين وذكر جملة منهم، وختمهم بذكر الشيخ محمَّد عبده وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا، ثمَّ ختم الكلام بالشيخ ابن باديس.

الاجتماع، ورأيٌ سديدٌ في عوارضه وأمراضه؛ يمدُّ ذلك كلَّه شجاعةٌ في الرّأي وشجاعة في القول لم يرزقهما إلاَّ الأفذاذ المعدودون في البشر.

وله في القرآن رأي بنى عليه كلَّ أعماله في العلم والإصلاح والتربيَّة والتَّعليم، وهو أنَّه لا فلاح للمسلمين إلا بالرُّجوع إلى هديه والاستقامة على طريقته، وهو رأي الهداة المصلحين من قبله"[1].

إنَّ منهج الإمام ابن باديس في تفسير القرآن ومعرفة معانيه هو منهج الرَّاسخين في العلم من أئمَّة المسلمين الذِّين لا يُشكُّ في كمال علمهم، وتمام نصحهم للإسلام والمسلمين؛ إذ يعتبر تفسيره من أنواع التَّفاسير بالمأثور؛ فهو يفسِّر القرآن بالقرآن، وبالسنَّة القوليَّة والفعليَّة، وأقوال الصحابة والتَّابعين، ثمَّ بلغة العرب التِّي نزل بها الوحي، مع بعض الإسقاطات الاجتماعية، والأحوال النَّفسية، والحقائق الطبيَّة التي تزيد الآية وضوحا والنَّفس اطمئنانا.

والنَّاظر والمتأمِّل في تفسير ابن باديس يرى أنَّه أعطى جانب التَّفسير بحديث النَّبِيِّ ρ حيِّزا كبيرا في أثناء كلامه على آيات الذكر الحكيم، ولقد اعتمد الإمام ابن باديس على كثير من الروايات الحديثيَّة في ذكر لطائف وتوجيهات دلَّت عليها الآيات الكريمات.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الفكرة، وهي اهتمام الإمام ابن باديس بالروايات الحديثيَّة، وبالتفسير النَّبوي في كلامه على تفسير الآيات، فأردتُ من خلال هذه الكلمات المبثوثات في هذه الصفحات أنَّ أجلِّي المباحث الحديثيَّة في تفسير ابن باديس، من خلال استشهاد ابن باديس بالأحاديث وإيرادها والكلام عليها عند تفسيره وشرحه للآيات البيِّنات، وأنَّ أتكلَّم على هذه المباحث من حيث منهجُ ابن باديس في ذكر روايات الحديث، والاستدلال بها، وكذلك ذكر الصناعة الحديثية عنده، من خلال هذا التفسير مبرزا بذلك معرفته و تقدمه في هذا الجانب.

وقد قسَّمتُ هذا البحث إلى ثلاثة مباحث، نُلْقِي الضوء من خلالها على اهتمام ابن باديس بالسنَّة النَّبوية وعلومها من خلال هذا التَّفسير؛ وسمَّيته :**"المباحث الحديثيَّة في تفسير ابن باديس"**، سائلا الله Y التَّوفيق والسَّداد.

المبحث الأوَّل: تفسير القرآن بالسنَّة .

---

[1] – آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، د ت(252/2).

المبحث الثَّاني : اهتمامه بأحاديث الصَّحيحين والموطَّأ.

المبحث الثَّالث: دقَّته في إيراد الروايات، وعزوها، والكلام عليها.

المبحث الأوَّل : تفسير القرآن بالسنَّة.

إنَّ أعلم النَّاس بالقرآن العظيم ومراد الله تعالى منه هو نبيُّه محمَّد ρ، إذ تعتبر السنَّة شارحة للقرآن ومفسرة له، قال تعالى:[وأَنْزَلْنَا الذِّكْرَ لِتُبَيِّن لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ولَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون][النحل:44] فسنَّة النَّبيِّ ρ سواء القوليَّة أو الفعليَّة هي بيان لهذا القرآن وتفسير له [1].

ولقد اهتمَّ الإمام ابن باديس بهذا الجانب اهتماما بالغا، وطبَّقه في تفسيره تطبيقا شافيا، حيث كان هذا الأمر سمةً بارزةً في تفسيره، لا تكاد تمرُّ على آية إلاَّ ووجدت فيها هذا الأمر جليًّا، وهذا ما جعل تفسيره يعلوه نور النُّبوة، وضياء الرسالة، مع نصاعة العبارة ونقاوة الأسلوب .

يقول عند تفسيره لقوله تعالى:[إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا][الإسراء: 78]:" **تفسير نبوي**:أخرج البُخاريُّ -رحمه الله تعالى- في "صحيحه"[2] عن أبي هريرة τ قال: سمعت رسولَ الله ρ يقول: "تفضل صلاةُ الجميع صلاةَ أحدكم وحده بخمس وعشرين مرة، وتجتمع ملائكة اللَّيل وملائكة النَّهار في صلاة الفجر"، ثم قال أبو هريرة τ: فاقرؤوا إن شئتم :[إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا]، فاستشهد أبو هريرة τ بالآية على الحديث ليُبَيِّن أنّه تفسيرٌ لها، وأنّ صلاة الفجر مشهودة، تشهدها ملائكة اللَّيل وملائكة النَّهار، وجاء هذا عند أحمد[3] عن ابن مسعود τ مرفوعا إلى النَّبيِّ ρ، وجاء اجتماع الملائكة

---

[1] - يقول الإمام ابن باديس: " ميزان: عندما يختلف عليك الدُّعاة الذين يدَّعي كلٌّ منهم أنَّه يدعوك إلى الله تعالى، فانظر من بالقرآن إلى القرآن، ومثله ما صحَّ من السنَّة **لأنَّها تفسيره وبيانه**، فاتَّبعه، لأنَّه هو المتبع للنبي ρ في دعوته وجهاده بالقرآن ..." [تفسير ابن باديس (73/2)].

[2] - الجامع الصَّحيح، تحقيق ياسر حسن، وعز الدين ضِلِّي، وعمَّار الطيَّار، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، ط الأولى، 1429 هـ - 2008 م، (كتاب التفسيرن باب قوله:[إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا]، ص 828 رقم 4717).

[3] - المسند للإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، ط الأولى، 1429 هـ - 2008 م، (126/16 رقم10133).

بأبسط من هذا عند مالك –رحمه الله–؛ فأخرج في "موطئه"[1] عن أبي هريرة τ أنَّ رسول الله ρ قال: "يتعاقبون فيكم ملائكةٌ باللَّيل وملائكةٌ بالنَّهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثمَّ يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم –وهو أعلم بهم– كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم يصلُّون، وأتيناهم وهم يصلُّون"[2].

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى:[يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطيِّبَاتِ واعْمَلُوا صَالِحًا إنِّي بِمَا تَعْمَلُون عَلِيم][المؤمنون: 51]:" **بيان نبوي**: أخرج مسلم في"صحيحه"[3] من طريق أبي هريرة τ أن رسول الله ρ قال: " أيُّها النَّاس إنَّ الله تعالى طيِّبٌ لا يقبل إلا طيِّبا؛ وإنَّ الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى:[يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطِيِّبَاتِ واعْمَلُوا صَالِحًا إنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم][المؤمنون: 51]، وقال تعالى:[يَا أَيُّهَا الذِّينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طِيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ][البقرة: 172]، ثمَّ ذكر الرَّجل يطيل السَّفر، أشعثُ أغبرُ، يمدُّ يديْه إلى السَّماء يا ربّ، يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّيَ بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك"، فبيّن الحديث الشّريف أنّ الله طيّبٌ –أي منزَّه عن النَّقص في ذاته وصفاته وأفعاله، تَنْعُم العقول و الأرواح بمعرفته كما يليق به، ومحبته–؛ وأنَّه لا يقبل من الأعمال إلاّ طيّبا –أي صالحا في نفسه، خالصا من شوائب المخالفة والرِّياء و الشِّرك–، وبيّن أنّ الشَّرع عامٌّ للرّسل وللأمم، ولا يُستثنى من هذا إلا ما دلّ الدّليل على اختصاصه بالرُّسل، وبيّن أنّ أكل الحلال هو الذي يُثْمر قبول الدّعاء، والدّعاء هو مخّ العبادة؛ فإذا رُدّ فقد رُدّت عليه عبادته، فكان هذا البيان النَّبويّ على مقتضى ما أفاده ترتيب الأمرين في الآية"[4].

---

[1] – الموطَّأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق كُلال حسن علي، مؤسسة الرسالة بيروت– لبنان، ط الأولى، 1430 هـ – 2009 م، (كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصَّلاة، ص 157–158 رقم422).

[2] – تفسير ابن باديس، أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، للإمام عبد الحميد بن باديس، تحقيق أبوعبد الرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، ط الأولى 1430هـ–2009م، (1/323–324).

[3] – الجامع الصحيح، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، اعتنى به ياسر حسن، وعز الدين ضلي، وعمار الطيَّار، مؤسسة الرسالة بيروت– لبنان، ط الأولى، 1430 هـ – 2009 م، (كتاب الزَّكاة، باب قبول الصَّدقة من الكسب الطيِّب وتربِيَّتها، ص 413 رقم 2346).

[4] – تفسير ابن باديس(1/418_419).

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى من سورة الذاريات:[فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُم نَذِيرٌ مُبِينٌ][الذاريات: 50]:"**بيانٌ نبويٌّ قوليٌّ**: قال -عليه الصلاة والسلام – فيما يقال عند النَّوم :"لا ملجأ ولا منجى إلاّ إليك"، والمِلْجَأ هو المهْرَب الذي يُهرب إليه، والمنجى هو مكان النَّجاة؛ فبيّن لنا أنّه لا يكون الهرب إلاّ إلى الله Y، ولا تكون النَّجاة إلاّ بالهرب إليه، فمن هرب لغيره كان من الهالكين؛ كما بيَّن لنا أنَّ كلَّ ما يجري في هذا العالم فهو بخلقه و بقدره، فلا مهرب و لا نجاة ممّا خلق وقدر إلا إليه.

بيانٌ نبويٌّ عمليٌّ: روى أحمد[1]، و ابن جرير[2] عن حذيفة بن اليمان τ "أنَّ رسول الله ρ كان إذا حَزَبَه أمرٌ صلَّى وفزع للصّلاة"، يعني إذا نزل به همٌّ أو أصابه غمٌّ فزع للصّلاة؛ فبيّن لنا بالفعل أنّ الفِرار إلى الله Y بالتلبُّس بطاعته، وصدق التّوجه إليه، والدُّعاء و التَّضرع و الخشوع له، والاستسلام لدينه وشرعه، والإخلاص في عبادته، والاعتماد عليه، وذلك كلُّه موجودٌ على أكمله في الصَّلاة، التي هي عمود الدّين ومظهر كماله."[3]

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى من سورة يس: [ونَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وءاثَارَهُم] [يسن: 12]بعد ذكر معنى الآية: **"تأييد و بيان**: في "صحيح مسلم"[4] من طريق جابر[5]بن عبد الله τ قال:"جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ρ، عليهم الصُّوف، فرأى سوءَ حالهم قد أصابتهم حاجة، فحثّ النّاس على الصَّدقة، فأَبْطئوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه، قال: ثمّ إنّ رجلا من الأنصار جاء بصرَّةٍ من وَرِقٍ، ثم جاء آخر، ثمّ تتابعوا حتّى عرف السُّرور في وجهه، فقال رسول الله ρ: "من سنَّ في الإسلام سنّة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في

---

[1] – المسند(330/38 رقم 23299).

[2] – تفسير ابن جرير للإمام محمد بن جرير أبي جعفر الطبري، تحقق: أحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، مؤسَّسة الرسالة بيروت– لبنان، ط الأولى، 1420 هـ - 2000 م، (12/1 رقم849 و850).

[3] – المصدر نفسه(326/2_327).

[4] – الجامع الصحيح(كتاب الزَّكاة، باب الحثُّ على الصَّدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيِّبة، وأنَّها حجاب من النَّار، ص 414 رقم 2351).

[5] – كذا في الأصل، والصَّواب "جرير" كما في صحيح مسلم، وبقيَّة المصادر التِّي أخرجت الحديث.

الإسلام سنّة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء".

وفيه من طريق أبي هريرة τ أن رسول الله ρ قال:" من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا؛ ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئا".

فتأيَّد بهذين الحديثين فهمُ المعنى المتقدِّم من الآية، وهو أنَّ العبد له و عليه من آثار أعماله مما لم يباشره بنفسه مثل ما له وعليه من أعماله التي باشرها.

وبيّن الحديث الأوّل أنّ ما تسبَّب عن عمل المرء يعدّ أثرا لعمله عندما يُعمل به في حياته مثلما يُعمل به بعد مماته، إذ الذي جاء بالصرّة أوّلا قد تسبّب عن مجيئه مجيءَ من بعده على أثره، والحديث سيق في شأنهم، فتكون في حالتهم أوَّل ما يشمل.

كما بيّن الحديث الثّاني أنّ أثر القول كأثر الفعل، إذ الكل عمل.

وبيّن الحديثان أنَّ نيل المرء جزاء عمله الذّي لم يباشره، لا ينقص من جزاء العامل المباشر شيئا".[1]

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الفرقان[وَالذِّينَ يَبِيتُونَ لربِّهِمْ سُجَّدًا وقِيَامًا][الفرقان: 64]بعد أن تكلَّم عن معنى الآية بقوله:"**المعنى**: ومن صفات عباد الرَّحمن أنهم يحيون اللَّيل، فيبيتون يصلون لربِّهم يراوحون بين السُّجود والقيام"[2]. قال بعد ذلك: "**بيان وترغيب**: هذه الآية من آيات الحثِّ على قيام اللَّيل مثل قوله تعالى:[تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا][السَّجدة: الآية 16][3]، وقد بيَّنت السنَّة المطهَّرة مقداره؛ فثبت في "الموطأ" من طريق أبي سلمة عن عائشة –رضي الله عنها– "أنَّ رسول الله ρ ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلِّي أربعا فلا تسأل عن حسنهنَّ وطولهنَّ، ثم يصلِّي أربعا

[1] – تفسير ابن باديس(2/303_305).

[2] – المصدر نفسه(2/93).

[3] – وهذا تفسير للقرآن بالقرآن.

لا تسأل عن حسنهنَّ وطولهنَّ، ثم يصلِّي ثلاثا[1]، والسَّلام بعد كل ركعتين لحديث:"صلاة الليل مثنى"[2].

وثبت عند "مسلم"[3] من طريق سعد بن هشام عنها أنَّه "كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين، فتلك ثلاث عشرة .

وقد ثبت ذلك في "الموطأ"[4] من طريق عروة عنها قالت:"كان رسول الله ρ يصلِّي بالليل ثلاث عشرة ركعة.

وهذا هو الغالب من أحواله، وقد كان يصلِّي أقلَّ منه في بعض الأحوال؛ فقد ثبت عند البخاري[5] من طريق مسروق عنها: "أنَّ صلاته ρ بالليل سبع وتسع وإحدى عشرة سوى ركعتي الفجر".

ومثل ما جاء عن عائشة من انتهاء ركعاته إلى ثلاث عشرة جاء في "الموطأ" في حديث ابن عباس[6]، وجاء فيه أيضا من حديث زيد بن خالد الجهني[7].

وفي هذه السُّنَّة العمليَّة الثابتة بيانٌ للقدر الأكمل الذي يكون به العبد ممن يصدق عليهم هنا الوصف من عباد الرَّحمن"[1].

---

[1] – أخرجه مالك في الموطَّأ(كتاب صلاة اللَّيل، باب صلاة النَّبي ρ في الوتر، ص 121 رقم271) ومن طريقه البخاري(1147، و2013، و3569)، ومسلم(1723)؛ وفي آخر الحديث عندهم جميعا: فقالت عائشة–رضي الله عنها–: فقلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ فقال:"يا عائشة، إن عيْنَيَّ تنامان، ولا ينام قلبي".

[2] – أخرجه مالك في الموطَّأ(كتاب صلاة اللَّيل، باب الأمر بالوتر، ص 122 رقم275) عن نافع وعبد الله بن دينار، ومن طريقه البخاري(990)، ومسلم(1748)، ونصُّ الحديث عندهم جميعا:"صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصُّبح صلى ركعة واحدة، توتر له ما قد صلَّى".

[3] – الجامع الصَّحيح(كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدُّعاء في صلاة اللَّيل وقيامه، ص 329 رقم 1806).

[4] – أخرجه مالك في الموطأ(كتاب صلاة اللَّيل، باب صلاة النَّبي ρ في الوتر، ص 121 رقم272)، ومن طريقه البخاري (1170).

[5] – أخرجه البخاري(كتاب التهجد، باب كيف كان صلاة النبي ρ، وكم كان النبي ρ يصلِّي من الليل، ص 231 رقم1139) عن طريق مسروق عنها.

[6] – أخرجه مالك في الموطأ(كتاب صلاة الليل، باب صلاة النبي ρ في الوتر، ص 121 رقم273)،وكذا أخرجه البخاري(1138)، ومسلم(1803).

[7] – أخرجه مالك في الموطأ(كتاب صلاة اللَّيل، باب صلاة النَّبي ρ في الوتر، ص 122 رقم274) ومن طريقه مسلم(1804).

ويقول عند تفسير قوله تعالى من سورة الفرقان:[وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا][الفرقان: 51]بعد ذكره لمعنى الآية:"**حديث**: صحَّ عن النَّبيِّ ρ أنَّه قال: "أُعطيت خمسا لم يُعطَهن أحد قبلي:كان كلُّ نبيٍّ يُبعث إلى قومه خاصَّة وبُعثت إلى كلِّ أحمر وأسود، وأُحلَّت لي الغنائم ولم تحلَّ لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيِّبة طهورا ومسجدا؛ فأيُّما رجل أدركته الصَّلاة صلَّى حيث كان، ونُصرت بالرُّعب بين يدي مسيرة شهر، وأُعطيت الشَّفاعة"[2].

وذكر اللونين الأحمر والأسود لقصد التعميم.

هكذا جاء هذا الحديث عن جابر بن عبد الله τ في "صحيح مسلم"، وجاء فيه من طريق أبي هريرة τ زيادة:"وختم بي النبيون"[3].

فتعميم رسالتِه، وختمُ النُّبوةِ به في هذا الحديث الصَّحيح من طريقيه من مقتضى معنى الآية، فإنَّه لما عمَّت رسالتُه ولم يكن معه رسولٌ في حياته، وخُتمت به النُّبوة فلا يكون كذلك بعد وفاته، ثبتت له كرامة في الخصوصيَّة وعظمة المنزلة وجزالة المثوبة، وهو ما كنَّا بيَّناه في معنى الآية، **وما أحسن التفسير تعضده الأحاديث الصِّحاح"**[4].

والأمثلة على تفسير ابن باديس لآيات القرآن بالأحاديث النَّبوية كثيرة.[5]

المبحث الثاني:اهتمامه بأحاديث الصحيحين والموطأ.

لقد كان منهج الإمام عبد الحميد بن باديس في التَّفسير الإكثارَ من إيراد الرِّوايات الحديثيَّة لبيان معنى الآية –وقد مرَّ معنا شيء من ذلك في المبحث الأوَّل–، والمتتبِّع لمجموع الأحاديث التي أوردها إمامُنا في "تفسيره" يرى أنَّه اعتمد الرِّوايات الصَّحيحة التي أخرجها أصحاب كتب السنَّة المشهورة، كالجوامع، والمسانيد، والسُّنن وغيرها؛ بَيد أنَّ النَّاظر في هذه

---

[1] – تفسير ابن باديس(2/93_95).

[2] – أخرجه مسلم(كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، ص 241 رقم 521).

[3] – أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، ص 241–242 رقم 523)، بلفظ:" فضِّلت على الأنبياء بستٍّ:....وختم بي النبيون".

[4] – تفسير ابن باديس(2/68_69).

[5] – وينظر كذلك تفسير ابن باديس: (1/376)، و(2/88)، و(2/106)، و(2/134_135)، و(2/346)، و(2/359)، و(2/183).

الروايات يظهر له بجلاء اهتمامه الكبير بأحاديث "الموطأ"[1]، و"الصحيحين" التي هي –أعني الأحاديث– في أعلى درجات الصِّحة، وليس هذا بغريب من الأمر، ولا بشنيع من الفعل، فموطأ مالك والصَّحيحين المنهل العظيم والوعاء الكبير للأحاديث الصَّحيحة، وقد كان إمامنا يدعو العلماء والمصلحين للاهتمام بما صحَّ من سنَّة النَّبي ρ، وهذه الكتب أوَّل مصدر لذلك.

يقول عند تفسير قوله تعالى:[وَقَـالَ الـرَّسُولُ .....][الفرقان: 30] الآية :"....
وعلَّمنا القرآن أنَّ النَّبيَّ ρ هو المبيِّن للنَّاس ما نُزِّل إليهم من ربِّهم، وأنَّ عليهم أن يأخذوا ما أتاهم، وينتهوا عمَّا نهاهم عنه، فكانت سنَّتُه العمليَّة والقوليَّة تالية للقرآن، فَهَجَرْناها كما هجرناه، وعاملناها بما عاملناه، حتَّى إنّه ليقلّ في المتصدّرين للتّدريس من كبار العلماء في أكبر المعاهد من يكون قد ختم كتب الحديث المشهورة كـ:"الموطأ"، و"البخاري"، و"مسلم"، ونحوها، مطالعة، فضلا عن غيرهم من أهل العلم، وفضلا عن غيرها من كتب السنة"[2].

هذه الشَّكوى من إمامنا ابن باديس تُنِمُّ على حرقةٍ شديدة في نفسه من هجران المسلمين، بل وهجران من ينتسبون إلى العلم من العلماء وطلبة العلم لأحاديث النَّبي ρ في دروسهم ومواعظهم وكتاباتهم، الأمر الذي حدى به إلى الامتثال للأمر القرآني والتوجيه النَّبوي بالاهتمام بسنَّة النَّبيِّ ρ تحكيما وتعليما وتدريسا، فأمر العلماء وطلبة العلم بنشر السنَّة والاهتمام بالأحاديث الصَّحيحة المبثوثة في كتب السنَّة المشهورة خصوصا "الصحيحين"، و"الموطأ"، وحذَّر من رواية الأحاديث المنكرة والموضوعة، وهذا الذي جعل الإمام يبالغ في إعطاء هذه المسألة حقَّها في دروسه، حيث يلمس القارئ ذلك عند النَّظر في "مجالسه"، بل قد جعل ابن باديس هذا الأمر منهجا له وطريقا سار عليه في دعوته الإصلاحية، فالأقوال والادِّعَاءات لا تكون صادقة وهي مجرَّدة، حتى تترجم إلى أفعال وأعمال تدلُّ على صدق قائلها وإخلاصه، ولا أدلَّ على صدق الإمام في دعواه من ذلك الاهتمام البالغ بموطأ الإمام مالك حيث أفرده بالشَّرح والبيان لمدة خمس وعشرين سنة.

---

[1] – لا غرابة في اهتمام الإمام ابن باديس بأحاديث الموطأ وقد ختمه شرحا وتدريسا في خمس وعشرين سنة بالمسجد الأخضر بقسنطينة.

[2] – تفسير ابن باديس:(46/2).

إنَّ عدد الأحاديث التي وردت في المطبوع من تفسير ابن باديس قد بلغت بالمكرَّر ثمانون ومائة حديث (180حديثا)، وبلغت بدون المكرَّر اثنان وستُّون ومائة حديث (162حديثا)، ويكون بذلك ثمان عشرة حديثا مكرُّرا، وهي كالآتي:

– 117حديثا بدون المكرر مخرَّجةٌ في الموطأ والصحيحين، 9أحاديث منها اتَّفق على إخراجها الثَّلاثة(مالك والبخاري ومسلم)، و50حديثا اتَّفق عليها البخاري ومسلم، وانفرد مالك بإخراج 4أحاديث أحدهم بلاغا، و17حديثا منها أخرجها البخاري،كما انفرد مسلم بإخراج 37حديثا.

– 29حديثا بدون المكرَّر أخرجها أحمد وبعض أصحاب السُّنن، 3أحاديث منها أخرجها أحمد، وبقيُّتها موَّزعة على أصحاب السُّنن.

– 16حديثا مخرَّجة في دواوين السنَّة الأخرى، كالمستدرك للحاكم، وشعب الإيمان للبيهقي، والشمائل للترمذي، وغيرها.

والمتأمِّل في عدد هذه الأحاديث يلحظ أنَّ حوالي ثلاثة أرباع هذه الأحاديث مخرَّجة في "الموطأ"، و"الصَّحيحين" أو أحدهم، وأحاديث هذه الكتب في أعلى درجات الصِّحة، وهذا مما يدلُّ على الاهتمام البالغ من الإمام ابن باديس بهذه الكتب من جهة، وعلى حرصه على ذكر الرِّوايات الصَّحيحة التى أرشد في أكثر من مناسبة في "تفسيره" إليها من جهة أخرى، حيث قال في إحدى تلكم المواضع بعد الكلام على تفسير آية: " وما أحسن التفسير تعضده الأحاديث الصحاح"[1]، وهذا الأمر أضفى على "تفسيره" نورا وضياءا ناصعا، يَنْشِرح القلبُ بقرائته ويَنْعُمُ الفوادُ بالنَّظر فيه، ويُبْعِده عن ظلمة الأحاديث الموضوعة والضعيفة التي شانت كثير من كتب التَّفسير.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الإمام ابن باديس قد ذكر بعض الروايات الضَّعيفة في تفسيره، إلا أنَّ هذه الروايات قليلةٌ جدا بالنِّسبة لعدد الأحاديث الإجمالي في التَّفسير، إذ بلغت حوالي عشرة(10) أحاديث، أكثرها أورده في المقدِّمة.

المبحث الثالث: دقَّتُه في إيراد الأحاديث، وعزوها، والكلام عليها.

[1] – تفسير ابن باديس(69/2).

إنَّ اهتمام الإمام عبد الحميد بن باديس بالرِّوايات الحديثيَّة عند تفسيره لآيات القرآن، لا يقتصر فقط على الرِّوايات الصَّحيحة المخرَّجة في "الصَّحيحين"، و"الموطأ"، وذلك بمجرَّد العزو إلى هذه المصادر وحسب؛ بل أعطى جانب التَّدقيق، والتَّمحيص، والفحص، والنَّقد، والتَّأصيل حيِّزا كبيرا في كلامه على هذه الرِّوايات وغيرها، سواء من حيث دقتُه في عزوه وإيراده وانتقائه للأحاديث التي يستدل بها في تفسير الآيات، أو من حيث الحكم عليها والكلام على كثير منها، بل وتجد إمامنا قد تكلَّم على كثير من مباحث المصطلح وعلوم الحديث في تفسيره، مما يدلُّ على أنَّه كان-رحمه الله- متمكِّنا من علم الحديث ومباحثه.

ويمكن توضيح هذا الجانب في تفسير ابن باديس في النِّقاط الآتيه:

1- دقتُّه في إيراد الأحاديث وعزوها.

2- الحكم على الأحاديث، والكلام على الرِّوايات.

3- الكلام على بعض المباحث المتعلِّقة بعلوم الحديث.

أولا: دقَّته في إيراد الأحاديث وعزوها.

إنَّ كثرة الرِّوايات التِّي استدلَّ بها الإمام ابن باديس، قد صاحبتها دقَّةٌ متناهية في العزو إلى المصادر التِّي أخْرَجَتْها، حيث يرى القارىء الاهتمام الكبير بذكر ألفاظ الحديث الواحد من كتب السنَّة المختلفة، والحرص على ذكر ألفاظ الرِّوايات المختلفة، بل وذكر الزيَّادات في المسائل التي يريد أن يستدلَّ لها، ولا شك أنَّ هذا العمل شاقٌّ جدا يحتاج إلى نَفَسٍ كبير، ونفس ذا همَّة عالية، فليس بغريب من الأمر أن يتتبع المرء ألفاظَ حديث أو حديثين أو بضعة أحاديث، ولكن العجب أن يفعل ذلك إمامنا في تفسيره كلِّه، مع نقص الوسائل وصعوبة الوقوف على مواطن الحديث وألفاظه في بطون كتب السنَّة في ذلك الوقت.

يقول عند تفسير قوله تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا][مريم: 96]: "تفسير نبوي: قال رسول الله ρ: "إنَّ الله إذا أحبَّ عبدا دعا جبريل فقال: إنِّي أحبُّ فلانا فأحبَّه، فيحبه جبريل، ثمَّ ينادي في السَّماء: إنَّ الله يحبُّ فلانا فأحبُّوه، فيحبُّه أهل السماء، ثمُّ يوضع له القبول في الأرض...."

الحديث، رواه بهذا اللفظ مسلم[1]، ورواه البخاري[2] وغيرهما؛ وزاد الطبراني: "ثم قرأ رسول الله ρ:[إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا][مريم: 96]، فارتبط الحديث بالآية بزيادة الطبراني"[3].

ونلحظ في هذا المثال كيف نقَّب إمامُنا على روايات الحديث ووقف على زيادة الطبراني التي ذكرت فيها الآية بعينها، ومن ثمَّ يظهر جليًّا ارتباط الحديث بالآية.

ويقول عند تفسيره للمعوذتين:" أمَّا السُّورتان فيكفي في فضلهما ما أخرجه مسلم في "صحيحه"[4] عن عقبة بن عامر الجهني τ قال: قال رسول الله ρ: "ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير خير منهنَّ قط:[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ][الفلق: 1]و[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ][الناس: 1]، وفي رواية أخرى في "مسلم"[5] عنه تسميَّتهما بالمعوّذتين؛ وفي رواية أبي أسامة في "مسلم"[6] أيضا وصف عقبة بن عامر بأنَّه كان من رفعاء أصحاب محمد ρ ....وحديث مسلم هو أصح ما ورد في نزولها"[7].

وفي هذا المثال تظهر نصيحة الإمام ابن باديس للقارىء بإعطائه كل ما يتعلق بهذه الرواية من تفاصيل، فذكر فضل المعوّذتين من "صحيح مسلم" ونبَّه على الرواية التِّي جاءت فيها التَّسمية بالمعوّذتين، ثمَّ زاد فائدة وقعت في الرِّواية في وصف راويها، وختم المثال بفائدة عزيزة وهو أنَّ هذه الرِّواية التي في "مسلم" أصحّ ما ورد في فضل المعوذتين، وهذا كله يدلُّ على دقَّة الإمام وتمكُّنِه وتمام نصحه لقارئه.

ويقول عند تفسير قوله تعالى:[وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلمُؤْمِنِينْ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا][الإسراء: 82]: " وأمَّا

---

[1] – الجامع الصحيح(كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حبَّبه إلى عباده، ص 1090 رقم 6405).

[2] – الجامع الصَّحيح(كتاب التَّوحيد، باب كلام الرَّب مع جبريل، ونداء الله الملائكة، ص 1283-1284 رقم 7485).

[3] – تفسير ابن باديس (1/376_377).

[4] – الجامع الصَّحيح(كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوِّذتين، ص 342 رقم 1891).

[5] – المصدر نفسه(رقم 1892).

[6] – المصدر نفسه(رقم 1893).

[7] – تفسير ابن باديس (2/340_341).

الأمراض البدنيَّة فقد قال رسول الله ρ: "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء" رواه البخاري من طريق أبي هريرة τ[1]، وقال: "لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الدَّاء برىء بإذن الله تعالى" رواه مسلم من طريق جابر τ[2]، وثبت عنه أنَّه داوى وتداوى؛ وروى الأئمَّة من ذلك عنه الكثير الطيب في كتاب الطب من "صحيح البخاري" وغيره، وثبت عنه ρ أنَّه استشفى واسترقى ببعض آيات القرآن العظيم، وأقرّ على ذلك من فعله من أصحابه؛ روى البخاري من طريق يونس عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة –رضي الله عنها– قالت:..."الحديث....، وروى الشيخان واللَّفظ للبخاري، عن أبي سعيد الخدري τقال:...."[3].

ويقول عند قوله تعالى:[والَّذِينَ يَبِيتون لربِّهم سُجَّدا وقِياما][الفرقان: الآية 64]: "بيان وترغيب: هذه الآية من آيات الحَثِّ على قيام الليل، مثل قوله تعالى:[تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُم خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون] [السَّجدة: 16]، وقد بيَّنت السُنَّة المطهَّرة مقداره؛ فثبَتَ في "الموطأ" من طريق أبي سلمة عن عائشة –رضي الله تعالى عنها–: "أن رسول الله ρ، ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلِّي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثمَّ يصلِّي أربعا لا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثمَّ يصلي ثلاثا"، والسَّلام بعد كل ركعتين لحديث: "صلاة الليل مثنى مثنى"، وثبت عند مسلم من طريق سعد بن هشام، عنها بأنَّه كان يفتتح صلاته بالليل بركعتين خفيفتين، فتلك ثلاث عشرة، وقد ثبت ذلك في "الموطأ" من طريق عروة عنها، قالت:

"كان رسول الله ρ يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة"، وهذا هو الغالب من أحواله، وقد كان يصلي أقل منه في بعض الأحوال، فقد ثبت عند البخاري من طريق مسروق عنها: "أن صلاته ρ بالليل سبع، وتسع، وإحدى عشرة سوى ركعتي الفجر"، ومثل ما جاء عن عائشة من انتهاء ركعاته إلى ثلاث عشرة جاء في "الموطأ" من حديث ابن عباس، وجاء فيه أيضا من

---

[1] – الجامع الصَّحيح(كتاب الطِّب، باب ما أنزل الله داءً إلاَّ إنزل له شفاء، ص 1010 رقم 5678).

[2] – الجامع الصَّحيح(كتاب السلام، باب لكلِّ داء دواء، واستحباب التداوي، ص 933 رقم 5741).

[3] – تفسير ابن باديس (1/357_358).

حديث زيد بن خالد الجهني، وفي هذه السنَّة العمليَّة الثابتة، بيان للقدر الأكمل الذي يكون به العبد ممن يصدق عليهم هذا الوصف من صفات عباد الرحمن"[1].

وفي هذا الموضع والذي قبله تظهر براعَةَ ابنِ باديس وملكته العلميَّة في إيضاح وبيان المعنى من الآية، ويظهر بجلاء دقته في إيراد كل ما يتعلق بِبَيَان المراد منها من الروايات، بسياق متناسق وترتيب جذَّاب، يجد القارىء نهمته من معنى الآية بسهولة ويسر، بدون كلفة ومشقَّة وعناء.

والأمثلة في تفسير ابن باديس على هذا الأمر كثيرة، ونقتصر على هذا لأنَّ القصد التمثيل[2].

ثانيا: الحكم على الأحاديث، والكلام على الرِّوايات.

يتكلَّم الإمامُ ابن باديس في كَثِيرٍ من الأحيان على درجة بعض الأحاديث، وينتقد العديد من الرِّوايات الضَّعيفة أو الباطلة التي استدل بها بعض النَّاس على بعض المسائل، وكان كثيرا ما يحكم على الحديث بنفسه، وقد ينقل عن غيره في مواضع درجة الحديث.

يقول في خِضَمِّ ردِّه على بعض العلماء في استدلاله ببعض الرِّوايات الضَّعيفة مشنِّعا عليه فعله:"... وبعد هذا البيان نقول لحضرته: لا تستدلّ بالحديث دون بيان رتبته ولا ذكرٍ لمخرجه، وما هكذا يكون استدلال الأمناء من العلماء، وأنَّه بِرَمي الأحاديث هكذا مهملة، اختلط الحقُّ بالباطل، وتجرَّأ على السُنَّة النبويَّة الغبيُّ والجاهلُ، حتىَّ بلَغَ الأمرُ إلى نسبة الأحاديث إلى كتب الإسلام المتَّفق عليها ولا وجود لها فيها؛ أمَّا نحن فلا نعرف هذا الدُّعاء في الصِّحاح المتداولة عندنا، فليتك تبيِّن من أين جئت به حتى نعرف مقدار ما تعتمد في احتجاجك عليه"[3].

يَظْهر بهذا الكلام البديع نصيحة هذا الإمام لعموم المسلمين، حيث اعتبر أنَّ بيان الأحاديث الصَّحيحة ونشرها في النَّاس، وتمييز المقبول من الباطل المردود من واجب العلماء

---

[1] – تفسير ابن باديس (2/93_95).

[2] – وينظر تفسير ابن باديس:(1/196)، و(1/327)، و(1/337)، و(2/146_147)، وغيرها.

[3] – تفسير ابن باديس:(2/121_122).

العاملين، وأنَّ التَّفريط في ذلك يوقع النَّاس في تخبط كبير، ويتجرأ الجهلة على الشَّرع وعلومه، وذلك بإدخال ما ليس من الحديث فيه، وما ليس من السنَّة فيها.

وقال في حديث:"وأَيْم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء" :"رواه ابن ماجه[1] من طريق أبي الدرداء τ بسند موثق، وفيه ابن سُميع، قال فيه ابن عدي:حسن الحديث"[2].

ويقول في موضع آخر:" وقد روى ابن جرير[3] بسند حسن أنَّ رجلا جاء إلى عمر τ، فقال: فاتتني الصَّلاة اللَّيلة، فقال: أَدْرِك ما فاتَك من ليلتك في نهارك، فإنَّ الله جعل اللَّيل والنَّهار خِلْفَةً لمن أراد أن يذَّكر، أو أراد شكورا"[4].

ويقول في موضع آخر:" تحقيق تاريخي: رُوِيَت في عظم ملك سليمان روايات كثيرة ليست على شيء من الصِّحة، ومعظمها من الإسرائيليات الباطلة، التي امتلأت بها كتب التَّفسير مما تُلُقِّيَ من غير تثبت ولا تمحيص، من روايات كعب الأحبار ووهب بن منبِّه؛ وروى شيئا من ذلك الحاكم في "مستدركه" وصرح الذَّهبي ببطلانه"[5].

وقال في أثر مجاهد :"أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا"، ذكره البخاري[6]، ورواه ابن جرير[7] بسند صحيح"[8].

وهناك أمثلة أخرى في تفسير ابن باديس تدل على هذا الأمر.[9]

ثالثا:الكلام على بعض مباحث علوم الحديث.

---

[1] – سنن ابن ماجه، للإمام محمَّد بن يزيد القزويني، بيت الأفكار الدولية، 2004م، د ط، (المقدِّمة، باب اتِّباع سنَّة رسول ρ، ص 19 رقم 5).

[2] – تفسير ابن باديس (122/1) [الهامش].

[3] – تفسير ابن جرير(290/19).

[4] – تفسير ابن باديس :(77/2-78).

[5] – المصدر نفسه:(235/2).

[6] – ذكره البخاري(كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ρ، وقوله تعالى:[و اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا]) معلقا بإبهام قائله.

[7] – تفسير ابن جرير(320/19).

[8] – تفسير ابن باديس:(173/2).

[9] – وينظر تفسير ابن باديس :(393/1)، و(106/2_107)، و(81/1).

إنَّ الكلام على مباحث المصطلح قليلة نسبيا في تفسير ابن باديس، ويرجع سبب ذلك لطريقته في التَّفسير، حيث يعتمد على بيان المراد من الآية وإسقاطها على الواقع وحال المسلمين، راجيا بذلك إصلاح ما فسد من أمر النَّاس في دينهم بعد فشو الجهل بسبب الاستدمار، وذلك بأسلوب بسيط بعيد عن التقعيد والغوص في دقائق المسائل، وهذا ما جعل كتابه يخلو من كثير من المباحث العلمية سواء في علوم الحديث أو أصول الفقه وغيرها، ومع ذلك فقد تكلَّم على بعض مباحث مصطلح الحديث وأشار إليها.

يقول في مقدمة تفسيره:"... ومن معناه ما ذكره القرطبي عن فروة بن نوفل، عن خباب بن الأَرَت τ قال: "إن استطعت أن تقرب إلى الله عز وجل، فإنَّك لا تقرب إليه بشيء أحبَّ إليه من كلامه"، ومثل هذا لايقال بالرأي، فهو في حكم المرفوع"[1].

أشار الإمام بهذا إلى مسألة في علوم الحديث، وهي أنَّ الصحابي الذي لا يُعرف بالأخذ عن بني إسرائيل إذا قال قولا لا مجال للرَّأي فيه، كذكر أمر من الأمور الغيبية أو ذكر مقدار من الثواب وغيرها، أنَّ ذلك يعتبر مرفوعا حكما، وهذا ممَّا لا خلاف فيه بين العلماء.

ويقول في موضع آخر كلاما نفيسا في مراد العلماء بقولهم:" الحديث الضَّعيف يعمل به في فضائل الأعمال":" لا نعتمد في إثبات العقائد والأحكام على ما ينسب للنَّبي ρ من الحديث الضعيف، لأنَّه ليس لنا به علم، فإذا كان الحكم ثابتا بالحديث الصحيح مثل قيام الليل، ثم وجدنا حديثا في فضل قيام اللَّيل بذكر ثواب عليه مما يرغب فيه، جاز عند الأكثر أن نذكره مع التَّنبيه على ضعفه الذي لم يكن شديدا على وجه التَّرغيب؛ ولو لم يكن الحكم قد ثبت لما جاز الالتفات إليه، وهذا هو معنى قولهم:" الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال" أيّ في ذكر فضائلها المرغّبة فيها لا في أصل ثوابها؛ فما لم يثبت بالدَّليل الصَّحيح في نفسه، لا يثبت بما جاء من الحديث الضَّعيف في ذكر فضائله باتِّفاقٍ من أهل العلم أجمعين"[2].

---

[1] – تفسير ابن باديس:(73/1)، والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، 1409هـ، (135/16 رقم 30098).

[2] – المصدر نفسه:(272/1).

وهذا كلام نفيس في تفسير قولهم: " الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال "، يدلُّ على فهم ثاقب، وتحقيق متين، وهو كما ترى مع قِصَرِهِ قد لخَّص ذلك المعنى بما لا تجده في كتب علوم الحديث المطولة ولا الكتب الأخرى التي ذكرت هذه المسألة .

ويقول في موضع آخر بعد ذكره كلاما لمعاذ بن جبل τ في قراءة القرآن للرَّجل والمرأة، والكبير والصَّغير، والمؤمن والمنافق :".... وهذا الحديث وإن كان موقوفا على معاذ τ فهو في حكم المرفوع، لأنَّه إخبار بمغيب مستقبل، وهذا ما كان يعلمه الصَّحابة –رضوان الله تعالى عليهم – إلاَّ بتوقيف من النبي ρ ..."[1].

[1] – المصدر نفسه:(2/47_48).

الخاتمة

وبعد هذه الجولة السَّريعة والإطلالة الخاطفة على تفسير ابن باديس، والتي سُلِّطَ فيها الضَّوء على جانب من جوانب القوَّة العلميَّة التي كان يتمتَّع بها الإمام عبد الحميد بن باديس، والمتمثّلة في التعامل مع الروايات الحديثيَّة وبعض مسائل الصنَّاعة الحديثيَّة، يمكن استخلاص بعض النَّتائج والتَّوصيات التِّي أظهرتها هذه الدراسة المتواضعة، حيث تظهر هذه النتائج في النقاط الآتية.

- اهتمام الإمام البالغ بالسنَّة أثناء تفسيره لآيات القران، والتي تجعل التفيسر في أعلى درجاته.
- اعتماد الإمام على الروايات الصَّحيحة، ويظهر ذلك في الاهتمام الشَّديد الذي أولاه لأحاديث الصحيحين والموطأ، وهذا الذي زيَّن تفسيره من النَّاحية الحديثيَّة.
- الدِّقة المتناهيَّة في إيراد الرِّوايات التي تخدم تفسير الآية، وعزوها، والكلام عليها تصحيحا وتضعيفا.
- تسليط الضوء على بعض مباحث المصطلح.

ومن خلال ما تقدَّم ذكره نوصي إخواننا طلبة العلم –وخصوصا من الجزائريين– بالالتفاف والاهتمام بتراث علمائِنا، وخصوصا تراث هذا الإمام والذي أحسب أنَّه لم يُعطى حقه من الاهتمام، خصوصا في بعض الجوانب العلميَّة، وأن نبيِّن ونُظْهِر للنَّشيء مكانة ابن باديس العلميَّة، خصوصا فيما يتعلق بمسائل الحديث، وذلك بجمع كل ما يتعلق بخدمة ابن باديس للحديث من جميع كتبه ومن أفواه ما تبقى من تلاميذه.

والحمد لله رب العالمين وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، د ت.

- تفسير ابن باديس، أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، للإمام عبد الحميد بن باديس، تحقيق أبوعبد الرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، ط الأولى 1430هـ-2009م.

- تفسير ابن جرير، للإمام محمد بن جرير أبي جعفر الطبري، تحقق: أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، ط الأولى، 1420 هـ - 2000 م .

- الجامع الصحيح للبخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به ياسر حسن، وعز الدين ضلي، وعمار الطيَّار، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، ط الأولى، 1429 هـ - 2008 م

- الجامع الصحيح لمسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، اعتنى به ياسر حسن، وعز الدين ضلي، وعمار الطيَّار، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، ط الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

- سنن ابن ماجه، للإمام محمد بن يزيد القزويني، بيت الأفكار الدولية، 2004م.

- المسند للإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، ط الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

- المصنف لابن أبي شيبة، للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، 1409هـ .

- الموطأ للإمام مالك، للإمام مالك بن أنس، تحقيق كُلال حسن علي، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، ط الأولى، 1430 هـ - 2009 م.